مفاتيح البصيرة في القرآن الكريم
قراءة تحليلية

أ.م . د لمياء مهدي سعيد الشمرتي
أستاذة مادة الشريعة في كلية القانون / جامعة الكوفة

ملخص البحث:

أن البصيرة نور لا يستغني عنه المؤمن في مسيرته الى الله ، بغية تمييز الغث من السمين والصالح من الطالح والحق من الباطل والهدى من الضلال ،وان الدنيا دار بلاء قد تزينت بالغرور وتحببت بالعاجلة ، وقد بالغ الشيطان في نزيينها لاوليائه وأتباعه ليؤثروها على الاخرة ، بل زينها لمطلق الناس ، وقد ملئت بالشبهات والانحرافات وكافة مظاهر الخداع ، فمن تحلى بالبصيرة تغلب على الشيطان وتجاوز تلك المطبات ،وإلا وقع في شباكه وانخدع بغروره وأسلس له قياده.

وان بلوغ تلك البصيرة يبدو متعذرا مالم يستشعر الانسان التقوى ويتفقه في الدين ، من خلال التمسك بالكتاب والعترة الطاهرة ، بصفتهما المصدرين العاصمين من الضلال الى يوم القيامة بحسب القرآن الكريم وحديث الثقلين الشريف.

الكلمات المفتاحية: البصيرة، القرآن ، ألاهمية

Keyword :Insight Quran Importence

Research Summary

Insight is a light that the believer does not dispense with in his march to God, in order to distinguish the wheat from the fat and the good from the bad and the right from falsehood and guidance from misguidance, and that the world is a scourge that has been decorated with vanity and loved with urgency, and Satan has exaggerated in its decoration for his parents and followers to affect it on the hereafter, but decorated it for absolute people, and it has

been filled with suspicions and deviations and all manifestations of deception, whoever had insight overcame the devil and overcome those bumps, otherwise he fell into his nets and was deceived by his arrogance and the smoothlest his leadership

المقدمة

تعد البصيرة كما وردت في القرآن الكريم من المفاهيم الاسلامية الاساسية التي ينبغي أن تطبع الايمان بالله واليوم الآخر، بل تتوقف عليها حقيقة الايمان، كونها النور الذي يضيئ الطريق، واليقين الذي يواجه الإنحراف والزيغ والشبهة،فمن إتصف بها هانت عليه الفتن وإنكشفت له اللوابس، فيشق طريقه بامن وسلام نحو الحق.

ويقف بالمقابل من ذلك فاقد البصيرة الموصوف بالغفلة والمغرور بظواهر الأمور دون حقيقتها، ليقف مذهولا في بعض مواقف الفتنة والبلاء معلنا إستسلامه وإنقياده للغي ، الأمر الذي يدلل بوضوح على أن لامعنى للايمان ولا عبرة به من دون تلك البصيرة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في المنزلة الكبيرة التي حظي بها مفهوم البصيرة الذي ورد في النصوص الدينية، سواء القرآنية أو الروائية التي حثت المؤمنين على التحلي بها، وشددت النكير على من أغفلها، لتصف إيمان فاقدها باللغو، وعبادته بالقشور، بل أبعد من ذلك اعتبرت نومه خيرا من عبادته ، وماقل منه خيرا مما كثر، وان سراجه في الفتنة والشبهة هو العمى، وليس المراد بهذا العمى عمى البصر، بل عمى البصيرة .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التركيز على التعريف بحقيقة البصيرة وعظم أهميتها،من خلال تسليط الضوء على بعض الآيات القرآنية والروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بهذا الخصوص، فضلا عن تناول الآليات التي من شأنها خلق وتعزيز هذه البصيرة لدى الفرد المسلم ، لنصل في خاتمة المطاف أن لاقيمة للايمان من دون تلك البصيرة، وانها ليست من المفاهيم التي يمكن الغفلة عنها أو التهاون في التعامل معها.

كما يهدف البحث الى كشف النقاب عن الجناحين التي تحلق بهما البصيرة ، والذان يشكلان مفاتيح الولوج الى هذه البصيرة والمتمثلان بالتقوى والتفقه في الدين بحسب روايات أهل البيت عليهم

مفاتيح البصيرة في القرآن الكريم
قراءة تحليلية

أ.م . د لمياء مهدي سعيد الشمرتي

السلام، الى جانب استعراض بعض المواقف التي شهدها صدر الاسلام والمرحلة التي أعقبت رحيل النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم والتي تتجلى فيها أهمية البصيرة.

مشكلة البحث:

يحاول البحث الاجابة عن سؤال رئيسي فحواه: هل من أهمية للبصيرة في النصوص الدينية؟، ويتفرع عنه عدد من الاسئلة ذات الصلة ، من قبيل: هل يمكن الحديث عن إيمان من دون بصيرة؟ ماهي السبل التي يمكن سلوكها من أجل التحلي بهذه البصيرة؟ماهي الأهمية المترتبة على الإتصاف بالبصيرة أو فقدانها؟

فرضية البحث:

أن البصيرة ضرورة تعصم الانسان المؤمن من السقوط في هوة الضلال والانحراف، والاستسلام للشبهات والفتن، والتعايش مع الزيغ والاعوجاج الذي يشوب الدين ، وان البصيرة هي اليقين الذي لايبلغه الانسان الا من خلال التقوى والتفقه في الدين ، وان القرآن الكريم بصائر وأن النبي واهل بيته عليهم السلام يمثلون ذروة البصيرة بما هم عليه من يقين ،وان التوحيد والولاية الحق كفيلة بايصال الانسان المؤمن الى أعلى درجات تلكم البصيرة.

مناهج البحث:

تم الإعتماد على المنهج الوصفي في البحث من خلال عرض بعض آيات القران الكريم التي تناولت مفهوم البصيرة، الى جانب الاحاديث والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بهذا الخصوص ، وكذلك المنهج التحليلي عبر تحليل النصوص والإستعانة بأقوال المفسرين الذين تطرقوا في تفاسيرهم إلى هذا المفهوم ومن كافة المذاهب الاسلامية .

هيكلية البحث :

انتظم البحث في مبحثين ؛ إذ إشتمل كل مبحث على مطلبين، فضلا عن المقدمة والنتائج، وكما يلي:

المبحث الاول: ضرورة البصيرة

المطلب الاول: مفهوم البصيرة

المطلب الثاني: أهمية البصيرة

المبحث الثاني: مفاتيح البصيرة

المطلب الاول: التفقه في الدين

المطلب الثاني: التقوى

الخاتمة:

مصادر الهوامش

قائمة المصادر:

المبحث الأول : ضرورة البصيرة

إن التعرف على مدى الحاجة إلى البصيرة وضرورتها يتطلب إيضاح مفهومها من خلال إستنطاقها كما وردت في النصوص الدينية ــ القرآنية والروائية ــ ، ومن ثم الوقوف على أهميتها، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول : مفهوم البصيرة

قال علماء اللغة البصيرة الفطنة، ويقال للفراسة الصادقة فراسة ذات بصيرة[1] وقال الراغب الاصفهاني : البصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة[2].

فالبصيرة هي حالة اليقين ، حالة الإعتقاد الراسخ في القلب، حالة الفطنة والتنبه، وهي قوة الادراك والعقيدة ووضوح الرؤية[3]

ويبدو من هذه التعاريف أن البصيرة ترشد إلى نوع من المعرفة الراسخة تبعث على التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال" فالبصيرة نور في قلب الإنسان المؤمن و رؤية ثاقبة و نافذة تصل إلى بواطن الأمور و حقائقها، و لا تتوقف عند الظواهر التي قد لا تعكس الحقائق و البواطن، بل قد تكون الظواهر مخالفة تماماً للبواطن و الحقائق، فكم من الناس من له المقدرة على رؤية الأشياء بشكلها الظاهري و ألوانها الظاهرية لكنهم لا يهتدون

إلى حقيقتها الباطنية ، كما لا يتمكنون من تشخيص خواص هذه الأشياء و تأثيراتها الإيجابية أو السلبية أبداً لأنهم يفتقدون الآليات التي تمكنهم من ذلك"[4].

وجاءت لفظة البصيرة في العديد من الآيات القرآنية بالمعنى الذي لايكاد يبتعد عما ورد في معانيها السابقة ، ومن تلك الايات قوله تبارك وتعالى: " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "[5]

فالبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين ، يبصر بها المعلومات والحقائق كما هي، فهي عين القلب ، كما أن البصر عين البدن"[6]

فالبصيرة مَلَكَةٌ تحصل لدى الانسان البصير بفعل معنوى و توفيق رباني، و رغم تسمية الانسان الذي يتمتع بقدرة الابصار بصيراً إلا أن البصير هو من يتمتع بالبصيرة، و البصيرة مرتبة أعلى من الابصار بالعين، لذا ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: "ذَهَابُ الْبَصَرِ خَيْرٌ مِنْ عَمَى الْبَصِيرَةِ"[7]

فالبصر بحاجة إلى بصيرة ليكون هناك نحو تطابق بين القلب والعقل ؛ الأمر الذي يفسر الحث على إعمال البصير قي تلاوة القرآن عبر التأكيد على تدبره قلبيا(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا"[8]

ويبدو أن صنفا من الناس يقصرون بصرهم وإدراكهم وعلمهم على المحسوسات دون أي إعمال لبصيرتهم ليصفهم القرآن الكريم بأنهم قوم "يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ"[9]، فهم مصابون بعمى البصيرة على الرغم من سلامة حاسة السمع والبصر، بل والقلب ، وبهذا الصدد يقول الامام علي عليه السلام"ما كُلُّ ذِي قَلبٍ بِلَبِيبٍ، ولا كُلُ ذِي سَمعٍ بِسَمِيعٍ، ولا كُلُّ ناظِرٍ بِبَصيرٍ "[10]

ويتضح من بعض الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة البصيرة ومنها قوله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[11] إنها تشير الى مرتبة اليقين والتوحيد الخالص الذي

لايشوبه أدنى شرك ، وذلك مختص بالنبي وأئمة الهدى عليهم السلام من بعده وطائفة من الكمل من أولياء الله الصالحين.

وان المراد بالبصيرة هنا اليقين على أساس إستنادها إلى التوحيد الخالص الخالي من أدنى شرك "لما ذكر سبحانه ان محض الايمان به وإخلاص التوحيد له عزيز المنال، أمر نبيه ان يبين لهم أن سبيله هو الدعاء إلى هذا التوحيد على بصيرة. فقوله هذه سبيلي اعلان لسبيله وقوله " ادعوا إلى الله على بصيرة " بيان للسبيل وقوله " وسبحان الله " اعتراض للتنزيه وقوله وما انا من المشركين تأكيد لمعنى الدعوة إلى الله بيان ان هذه الدعوة ليست دعوة إليه تعالى كيف كان بل دعوة على أساس التوحيد الخالص..

ويدل السياق على أن الاشراك ليس بذاك العموم الذي يتراءى من لفظ من إتبعني فان السبيل التي تعرفها الآية هي الدعوة عن بصيرة ويقين إلى ايمان محض وتوحيد خالص وانما يشاركه فيها من كان مخلصا لله في دينه عالما بمقام ربه ذا بصيرة ويقين وليس كل من صدق عليه انه اتبعه على هذا النعت[12].

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على طائفة من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بخصوص البصيرة لرأينا تطابقها تماما مع ماجاءت به الآيات القرآنية ، ومنها إفادة اليقين ، ففي حديث الإمام علي عليه السلام – في صفة من يحفظ الله بهم حججه وبيّناته: "هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلاَنُوا مَا اسْتَعْوَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ"[13]

بما أنّ الدين يشكّل الطريق القويم الذي يوصل الإنسان إلى كماله الذي يمثّل غاية وجوده، وبما أنّ الدين لم يجعله الله تعالى نصًّا واحدًا لا يمكن أن تحرّف مفاهيمه، فإنّ معرفة الدين الحقّ دون تحريف تحتاج إلى آليّة صحيحة، ومسار متقن لتتحقّق من خلال ذلك البصيرة فيه، وهذا المسار، وإن مرّت بنوده العامّة سابقًا، إلاّ أن أئمة أهل البيت عليهم السلام أكّدوا على أنّ ذلك يحتاج إلى تسديد إلهيّ للإنسان، فأكّدوا على الدعاء "اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل النور في بصري، والبصيرة في ديني، واليقين في قلبي، والاخلاص في عملي"[14].

ولعلّ هذا التأكيد بسبب المحاولات الحثيثة من إبليس ومن قد يساعده من شياطين الإنسان لتحريف صورة الدين عبر محاولة تأثيره في النظام الإدراكي للإنسان، فإنّ تأثير إبليس في

الإنسان يقتصر على الإدراك، والتلاعب بالحواس من خلال الإغواء والتزيين ، وقد عبّر القرآن الكريم عن دور إبليس هذا بقوله " قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (15).

فالمخلَصون هم الذي ثبتت عندهم الحقائق بحيث لا يستطيع إبليس أن يغيّرها، أمّا غير المخلَصين، فهو يسعى جاهدًا نحو تغييرها من خلال التأثير على النظام الإدراكي لديهم، فيريهم الحق باطلا والباطل حقا؛ الأمر الذي يفسر لنا ماقاله أمير المؤمنين عليه السلام لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلاَ يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ."(16)

ومما سبق يتبين لنا أهمية مفهوم البصيرة وضرورة التحلي بها في إطار مواجهة مظاهر الزيف والخداع التي تنطلي على ذوي الأبصار دون البصيرة.

المطلب الثاني
أهمية البصيرة

وردت العديد من الروايات والأخبار التي تتحدث عن هجوم الشبهات والفتن على الأمة الإسلامية سيما بعد رحيل النبي الأكرم ، ودخول الامة في مرحلة التأويل التي تبدو أصعب بمراتب من مرحلة التنزيل، ذلك لان مرحلة التنزيل تجسد الصراع بين عقيدة التوحيد التي يحمل لواؤها المسلمون وعقيدة الشرك التي يحمل رايتها الكفار، فتكون ملامح الحق والباطل واضحة جلية ، يؤيد ذلك التجربة التأريخية لعصر صدر الاسلام .

بيد أن مرحلة التأويل التي تتمثل في الصراع بين أطراف داخل دائرة الحق التي يدعى كل طرف فيها أنه يمثله؛ الأمر الذي يكشف عن عمق الحاجة إلى البصيرة حتى في حال كون الفرد المسلم على الايمان والصلاح الذي قد لا ينجيه من السقوط في مستنقع الضلال والخداع ، يهدى إلى ذلك قول الامام علي عليه السلام في معركة صفين بعد الوصية بالتقوى" وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلا

يَحْمِلُ هذَا الْعَلَمَ إلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ)"[17] وكذلك قوله " وَلكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْأَسْلاَمِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْأَعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ" [18]

فصاحب البصيرة يستطيع تشخيص الزيغ والاعوجاج والشيهة التي تطال الدين، في حين يلتبس الامر على فاقد البصيرة، وحين نجح أئمة الضلال في تنحية أهل البيت عن قيادة الامة عملوا على تدليس هذه البصيرة فكان من نتائج ذلك قتل العترة باسم الدين والتقرب الى الله، الامر الذي يكشف بجلاء أهمية البصيرة.

تجدر الاشارة الى أن القرآن الكريم كان قد حذر من الوقوع في الفتنة والارتماس في الشبهة وان آيات القرآن بصفتها بصائر تشكل أحد أهم العرى التي إن تمسك بها المؤمن تغلب على تلك الفتن ، فقد قال النبي الاكرم بهذا الخصوص إِذَا التَبَسَت عَلَيكُمُ الفِتَنُ، كَقِطَعِ الَّيلِ المُظلِمِ فَعَلَيكُم بِالقُرآنِ " [19].

الى جانب العروة الاخرى التي تعصم من تلك الفتن والشبهات والمتمثلة بالتمسك بعدل القرآن أهل بيت النبي عليهم السلام الذين قال فيهم " إنِّي تارِكٌ فيكُم ما إن تمسَّكتُمْ بِهِ لن تضلُّوا بَعدي أحدُهُما أعظَمُ منَ الآخرِ: كتابُ اللَّهِ حَبلٌ ممدودٌ منَ السَّماءِ إلى الأرضِ. وعِترتي أَهْلُ بيتي، ولَن يتفرَّقا حتَّى يَرِدا عليَّ الحوضَ فانظُروا كيفَ تخلُفوني فيهِما"[20]

والذي يمكن أن نستفيده من هذا الحديث الشريف ان ذروة البصيرة التي تعني اليقين متجسدة في النبي وأهل بيته عليهم السلام بصفتهم عدل القرآن الموصوف بأنه بصائر، وإن الإنسان إنما يغرف من بحر هذه البصيرة على مدى الإقتراب منهم والدخول في ولايتهم ، فيتفاوت المؤمنون في بصائرهم على ضوء التفاوت في طاعتهم وموالاتهم والدخول حقيقة في ولايتهم التي لاتنال إلا بالورع والتقوى وإتيان الطاعات وإجتناب المحرمات ، يويد ذلك الروايات الواردة عنهم في تصنيف منازل أصحابهم على ضوء الإجتهاد بالتأسي بهم.

يمكن الوقوف على أهمية وضرورة هذه البصيرة من خلال التأمل في بعض المواقف التي أوردها القرآن الكريم بهذا الشأن ، ومنها الموقف في يوم الأحزاب الذي جعل الفريق المؤمن طائفتين؛ طائفة أهل البصائر، والاخرى التي كانت تفتقر الى تلك البصيرة في التعامل مع الموقف ،فالموقف الذي صوره القرآن هو" يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً"[21]

أما أهل البصائر فقد وصفوه على حقيقته في انه عين ماأخبرهم عنه الله ورسوله ولمسوه بقلوبهم وعاينوه بأبصار عقولهم " وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا "[22]، في حين إنطلت الفتنة على الطائفة الاخرى التي عميت بصيرتها فانخدعت بأساليب الضلال وافتتنت بالقوة الظاهرية " وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا"[23]

يذكر أن رسول الله الذي يمثل ذروة البصيرة وفي ضنك ذلك الموقف كان يبشر المسلمين بكنوز كسرى وقيصر غير آبه بكل مظاهر القوة المتمثلة بالشرك آنذاك ليسمع من مرضى القلوب وعمي البصيرة قولهم" كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى بيت الخلاء "[24]

وتتجلى البصيرة أحيانا في الحكمة التي تجعل المؤمن يختار من الكلمات ماينا سب الموقف، لنرى مثال ذلك في الحوار الذي إعتمده تلميذ الرسالة جعفر بن أبي طالب مع حاكم الحبشة النجاشي والذي حال دون تسليمه المسلمين المهاجرين الى قريش، بل أبعد من ذلك أعتناقه الاسلام وفتح بلاده على مصراعيها أمام المسلمين ليمارسوا عقائدهم بكل حرية في ارضه، اذ لخص ماكان عليه العرب في الجاهلية وماينبغي أن يكونوا عليه بفضل البعثة النبوية.

إذ قال " أيُّها الملِكُ كنَّا قومًا أَهْلَ جاهليَّةٍ نعبدُ الأصنامَ، وَنَأْكلُ الميتةَ، وَنَأْتي الفواحِشَ، ونقطَعُ الأرحامَ، ونُسيءُ الجوارَ، ويأكلُ القويُّ منَّا الضَّعيفَ، فَكُنَّا على ذلِكَ حتَّى بَعثَ اللَّهُ إلينا رسولًا منَّا نعرفُ نسبَهُ، وصِدقَهُ، وأمانتَهُ، وعفافَهُ، فدعانا إلى اللَّهِ لتوحيدِهِ، ولنَعبدَهُ ونخلعَ ما كنَّا نعبدُ نحنُ وآباؤُنا من دونِهِ منَ الحجارةِ والأوثانِ، وأمرَنا بصِدقِ الحديثِ، وأداءِ الأمانةِ، وصلةِ الرَّحمِ، وحسنِ الجوارِ، والكفِّ عنِ المحارمِ والدِّماءِ، ونَهانا عنِ الفواحشِ، وقولِ الزُّورِ، وأَكْلِ مالِ اليتيمِ، وقذفِ المُحصنةِ، وأن نعبُدَ اللَّهَ لا نشرِكُ بِهِ شيئًا، وأمرَنا بالصَّلاةِ والزَّكاةِ والصِّيامِ"[25]

وتتضح أهمية هذا البصيرة في المرحلة التي أعقبت رحيل النبي الاكرم واختلاف الامة من بعده لنلمس ذروتها في شخصية وصي النبي الاكرم الذي قاتل الناكثين والمارقين والقاسطين ولم يكن يكن ليجرأ على تلك الحروب أحد غيره بحسب تعبيره عليه السلام"يُّهَا النَّاسُ، فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، ولَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي"[26]

ونلمس أهمية البصيرة في المواقف التي تعرض لها أصحاب الإمام علي عليه السلام سيما في معركة صفين حين التقى الجيشان وكان كلاهما يكبر ويهلل ويصلي ويرفع ذات الشعارات الاسلامية بحيث أرتج الامر على بعض أفراد جيش الامام، بينما كان الصحابي الجليل عمار بن ياسرثاقب البصيرة وهو يقول والله هذه الراية قد قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهن[27].

يبدو أن بصيرة عمار تلك انما كانت معلولة لملازمته للولاية على خلفية نصيحة رسول الله له بملازمة علي وعدم التخلف عن سبيله وإجتناب سلوك أي واد حتى لو سلكه عامة الناس .

ويكفي أصحاب الامام الحسين عظمة إنهم وعلى لسان أعدائهم كانوا يوصفون بأصحاب البصائر، كيف لا يكونوا كذلك وقد ذابوا في عشق ولي الله الاعظم الذي عانق عالم الغيب بتضحياته يوم الطف ، وحوله ببصيرته إلى عالم الشهادة ، فكان يرفع بيعته عن صحبه بل ضمن لبعضهم الجنة حتى مع إتخاذ اليل جملا ومغادرة الميدان ، بينما يواجهه بالرفض وتمني الموت ألف مرة وعدم ترك امام البصيرة وحده في الساحة .

ولعظم هذه الصفة الربانية نرى أمير المؤمنين عليه السلام يضفيها على أصحاب القائم عجل الله تعالى فرجه في وصفه لجانب من حركة الظهور الشريف، وبعض صفات أصحاب الامام فيقول"حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرٍ وَاعِظِهِمْ"[28].

ويصور في ذات الخطبة فقدان الامة لتلك البصيرة على خلفية ابتعادها عن أهل البيت الذين أوصى الله على لسان نبيه الاكرم بالتمسك يهم ليروا أنفسهم غرقين في بحر من الحيرة والضلال "حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ" [29]

نخلص مما تقدم أن مجرد الايمان لايبدو كافيا في المواقف التي تنطوي على شيئ من الشبهة والفتنة مالم تكن هناك بصيرة تهدي الى تمييز الحق من الباطل ، وان موالاة الامام المعصوم من شأنها أن تخلق وترسخ تلك البصيرة.

المبحث الثاني

مفاتيح البصيرة

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات الكريمة التي حثت على التفقه في الدين والتحلي بالتقوى بصفتهما مفتاحي البصيرة، الامر الذي أكدته أيضا الروايات ، وسنوضح ذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الاول

التفقه في الدين

مفاتيح البصيرة في القرآن الكريم
قراءة تحليلية

أ.م . د لمياء مهدي سعيد الشمرتي

أكد القرآن الكريم أن منشأ البصيرة في القلب عن طريق العقل الذي يختزن الفطنة والفهم والعلم فيقول:" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "[30]

فالكون مشحون بما يهدي من يتأمله وينظره الى التوحيد والإيمان بالله، غير أن هذا النظر ينبغي أن يكون بعين القلب ولبس بالبصر الظاهري الذي قد يغش الانسان أحيانا، يقول الامام علي عليه السلام " لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلاَ يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ "[31]

حث القرآن الكريم المسلمين على التفقه في الدين "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"[32]

لا شكّ أنّ المقصود من التفقّه في الدين هو تحصيل المعارف والأحكام الإسلاميّة، وهي أعمّ من الأصول والفروع، لأنّ هذه الأمور كلّها قد جُمعت في مفهوم التفقّه. وعليه، فإنّ هذه الآية دليل واضح على وجوب توجّه فئة من المسلمين وجوباً كفائيّاً على الدوام لتحصيل العلوم في مختلف المجالات الإسلاميّة، وبعد الفراغ من التحصيل العلميّ يرجعون إلى مختلف البلدان، وخصوصاً بلدانهم وأقوامهم، ويعلّمونهم مختلف المسائل الإسلاميّة [33]

فآية التفقه تدلّ على وجوب تعلّم الأحكام لغاية الإنذار والإرشاد بالنسبة إلى القوم الذين لا يعلمون، فيجب إرشاد الجاهل على العالم بحكم الآية الكريمة. ومن المعلوم أنّ الآية تكون في مقام بيان غائيّة العمل، أي الإنذار غايةً للتفقّه، فتفيد وجوب الإرشاد قطعاً، كما قال السيّد الخوئيّ قدس سره: "أمّا الأحكام الكلّيّة الإلهيّة، فلا ريب في وجوب إعلام الجاهل بها، لوجوب تبليغ الأحكام الشرعيّة على الناس، جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وقد دلّت عليه آية النفر، والروايات الواردة في بذل العلم وتعليمه وتعلّمه"[34]

وبهذا المعنى ورد عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه قال: "تفقّهوا في دين الله، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا... ومَن لم يتفقّه في دينه لم يرضَ الله له عملاً" [35]

تجدر الإشارة إلى إن التفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام يشكل العمود الفقري في الحوزات العلمية ودعامتها المتينة، سواء في عصر الائمة أو الغيبة الكبرى، فكان من أهم وظائف هذه الحوزات إعداد

الفقهاء ، كما كان الافق الاسمى الذي يرنو إليه طالب العلوم الدينية يتمثل في بلوغ درجة التفقه. وعليه فان " الفقه يعني التخصص في معرفة الدين وأسلوب فهم الدين ، فيدخل في حيز الفروع(الاحكام العملية) والاصول(المعارف والأخلاق) ، فلا ينبغي تضييق دائرة الفقه وحصرها بالفقه الإصطلاحي الذي يعني إستنباط الاحمام العملية الشرعية[36]

يؤيد ذلك أن الفقه بمعنى العلم بالاحكام العملية معنى مستحدث " ليس المراد بالفقه الفهم ولا العلم بالاحكام الشرعية العملية عن طريق أدلتها التفصيلية فإنه معنى مستحدث، بل المراد به البصيرة في أمر الدين ، والفقه أكثر ما يأتي في الاحاديث بهذا المعنى، والفقيه هو صاحب هذه البصيرة[37]

ومن هنا فان الآيات التي حثت على التفقه " ليتفقهوا في الدين" والاحاديث ومنها قول الامام الصادق عليه السلام" ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا الحلال والحرام ، أن هذا التفقه لا يقتصر على فروع الدين، وانما يشمل الفروع والاصول ؛ ذلك لان التعرف على الاصول يضمن سلامة العلوم الاسلامية وان التبعية للمذاهب الخاطئة والسطحية إنما مدت جذورها عندما صارت العلوم الاسلامية في يد غير الفقهاء ، الذين أخذوا يشرحون للناس القرآن على ضوء ماعندهم ويعلمونهم الفلسفة ويكتبون في المعاد والتوحيد[39]

ما تجدر الاشارة إليه أن كل مسلم مكلف على قدر إستطاعته وحسب طاقنه بالتفقه في الدين عبر الانفتاح على العقائد الحقة بما يرسخ الايمان ، إلى جانب كل مامن شأنه أن ينظم علاقته بالله والناس ومعاملتهم وضرورة الانفتاح على علم الاخلاق بما يقود إلى تهذيب النفس وتطهير القلب واستقامة السلوك.

وإستنادا إلى بعض الروايات فإن العبادة تصبح صورية خالية من الروح مالم تقترن بالبصيرة" لا خَيرَ في عِبادَةٍ ليسَ فيها تَفقُّهٌ ، وعلى هذا الأساس ورد وصف المتفقه في الدين على لسان الامام علي عليه السلام اذ يقول " : الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ"[40]

فالغاية من التفقه شد الناس الى الله تعالى بشتى وسائل الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والبشارة والإنذار ، وذلك يتطلب نوعا من الحكمة والعلم والحلم الذي لايبدو ميسرا إلا في ظل التحلي بالبصيرة.

وأخيرا تتفق" روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام في أن غياب التفقه في الدين لايعنى سوى التعرب عن فهم الدين والعودة إلى الجاهلية التي تجعل الانسان المسلم يسقط في هوة الضلال والانحراف، والابتعاد عن جادة الهدى. يقول الامام علي عليه السلام لا تكونوا كجُفاةِ الجاهليَّة، لا في الدين يتفقَّهون، ولا عن الله يعقلون" [41]

ومن هنا يشكو الامام هؤلاء القوم إلى الله والذي يفيد ذروة الحسرة عليهم بما عطلوا عقولهم وبصائرهم حتى جعلتهم يزهدون في القرآن " إلَى اللهِ أشكُو مِن مَعشَرٍ يَعيشُونَ جُهّالاً و يَموتُونَ ضُلاّلاً ، ليسَ فيهِم سِلعَةٌ أبوَرَ مِن الكتابِ إذا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ" (42)

ويعزي القرآن الكريم هذا الجهل والضلال الى عدم التفقه في آياته بما تضمنته من مواعظ وحكم من شأنها فتح البصيرة" فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا"(44)

ومن هنا نقف لى أهمية التفقه في الدين كسبيل يوصل الانسان الى التحلي بالبصيرة التي يميز بها الحق من الباطل.

المطلب الثاني

التقوى

إن التقوى تعني المراقبة الدائمة والمستمرة للأفعال والأقوال، وأبرز مصاديقها هو القيام بالواجبات وترك المحرمات وأيّما مؤمن أراد السّير في الطريق إلى الله والسير على الصراط المستقيم الحقّ، عليه أن

يتحلّى بالتقوى ليستضيئ بنور الله ويصل إلى المراتب المعنوية العليا، فاتقوى تفيد الالتزام بالتكاليف الدّينيّة وعدم الرضوخ للأهواء والشّهوات والانحراف عن سبيل الله.

يقول القرآن الكريم " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا"[45]

فهذا الفرقان هو البصيرة التي يفرق الإنسان بها بين الحق، والباطل، وبين معدن الحق، ومعدن الشبهات.

قال أحد المفسرين واصفًا للتقوى المورِثة للفرقان: هي امتثال الأوامر واجتناب المناهي، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرَّمات، وشحن القلب بالنية الخالصة، والجوارح بالأعمال الصالحة، والتحفظ من شوائب الشرك الخفيّ والظاهر[46]

والله – تبارك، وتعالى – يقول عن أهل الإيمان" إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ"[47]

فقد يقع المؤمن بالمعصية، لكنه سرعان ما يتذكر، ويستيقظ إيمانه، وتبقى بصيرته حية، فيرجع إلى ما كان عليه من لزوم الصراط المستقيم، والجادة الصحيحة، ويرجع إلى طاعة ربه – تبارك، وتعالى –.

أما الفئة الأخرى وَإِخْوَانُهُمْ فهؤلاء شيءٌ آخر، يعني إخوان الشياطين يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ [48] يعني: أن الشياطين تمدهم في الغي، فيبقى الواحد منهم مسترسلاً مع جرائمه، وجرائره، وانحرافاته، وضلالاته، فلا يرجع عنها، بل يُزيَّن له ذلك، ويسأل ربه التثبيت، وغالباً ما يكون ذلك في لونٍ من الانحرافات، وهي التي كانت بسبب الشبهات.

وهذه الآية العظيمة أفادت أن مس الشيطان يعمي، ويطمس البصيرة، ولكن تقوى الله – تبارك، وتعالى – ومراقبته، وخشيته تصل القلوبَ بربها، وبارئها، ومليكها وتقدست أسماؤه – فتوقظها من الغفلة. فأهل التقوى يتذكرون، فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم، وتكشفت الغشاوة عن عيونهم، فإذا هم مبصرون.،فمس الشيطان عمى يطمس هذه البصائر، أو يضعفها، ولذلك إذا استرسل الإنسان مع هذه المعاصي، والذنوب فإن ذلك يؤدي إلى انطماس بصيرته، وإلى تتابع الذنوب على قلبه، فتنكت فيه نكتة سوداء.[49]

وقال تعالى " وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[50] قال القرطبي(ت 610 هـ): قوله تعالى: وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه أي يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقى إليه وقد يجعل في قلبه ابتداء فرقاناً أي فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل [51]

وهذا النور والفرقان الذي يترتب على التقوى هو البصيرة التي تجعل الإنسا يميز الحق من الباطل، وتمنحه السكينة والثبات في المواطن التي لا تبدو واضحة الرؤية بفعل تزيين الشيطان الذي يري الباطل حقا والحق باطلا.

ومن الآيات القرآنية التي أشارت الى أن حصيلة التقوى وثمرتها البصيرة قوله تبارك وتعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا"[52] ، " والفرقان هو بصيرة التفريق بين الحق والباطل والصدق والكذب، والمؤمن والمنافق، والإستقامة والإنحراف، والهوى والضلال، وقد جعل الله التقوى مفتاحا لهذه البصيرة، فمن إتقى الله رزقه هذا الفرقان، ومن رزقه الله هذه البصيرة، لم يلتبس عليه الحق بالباطل[53] كما أكدت الآية القرآنية الشريفة " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ"[54] ان نور البصيرة يفاض على القلوب التي تستشعر التقوى.

يقول أحد المفرين المعاصرين في شرحه لهذه الأية الكريمة: " يا أيها الذين آمنوا فيه لمسة خاصة لقلوبهم ، واستحياء لمعنى الإيمان ، وتذكير برعايته حق رعايته ؛ واستجاشة للصلة التي تربطهم بربهم الذي يناديهم هذا النداء الكريم الحبيب . وباسم هذه الصلة يدعوهم إلى تقوى الله والإيمان برسوله . فيبدو للإيمان المطلوب معنى خاص . . معنى حقيقة الإيمان وما ينبثق عنها من آثار . اتقوا الله وآمنوا برسوله . . (يؤتكم كفلين من رحمته) . . أي يعطكم نصيبين من رحمته وهو تعبير عجيب . فرحمة الله لا تتجزأ ، ومجرد مسها لإنسان يمنحه حقيقتها . ولكن في هذا التعبير زيادة امتداد للرحمة وزيادة فيض . . (ويجعل لكم نورا تمشون به) . وهي هبة لدنية يودعها الله القلوب التي تستشعر تقواه ، وتؤمن حق الإيمان برسوله . هبة تنير تلك القلوب فتشرق ، وترى الحقيقة من وراء الحجب والحواجز ، ومن وراء الأشكال والمظاهر ؛ فلا تتخبط ، ولا تلتوي بها الطريق"[55]

ويفهم من ذلك أن البصيرة هنا تلامس اليقين ذلك أن صاحبها يبلغ مرتبة رؤية الحقيقة بعد أن طهر القلب ولم تعد فيه أية ظلمة تحجب الحقيقة.

كما جاء في الحديث: تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأيُ قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات، والأرض، والآخر أسود مُربادًّا كالكوز مُجَخِّيًا لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه[56]

يفهم من روايات أئمة الهدى عليهم السلام أن التقوى بالمعنى الخاص وضمن مواصفات معينة هي التي من شأنها أن تكون مفتاح البصيرة، بمعنى آخر أن مجرد التقوى التي تقتصر بصاحبها على الاتيان

بالعبادات العامة والانتهاء من المعاصي قد لا تجعل من اتصف بها صاحب بصيرة مالم تقترن بتلك المواصفات.

وبهذا الخصوص يقول الامام علي عليه السلام:" فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَوَجِلَ فَعَمِلَ وَحَاذَرَ فَبَادَرَ وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ وَحُذِّرَ فَحَذِرَ وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ وَأُجِيبَ فَأَنَابَ وَرَاجَعَ فَتَابَ وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى وَأُرِيَ فَرَأَى فَأَسْرَعَ طَالِباً وَنَجَا هَارِباً فَأَفَادَ ذَخِيرَةً وَأَطَابَ سَرِيرَةً وَعَمَّرَ مَعَاداً وَاسْتَظْهَرَ زَاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَوَجْهِ سَبِيلِهِ وَحَالِ حَاجَتِهِ وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ"[57]

فالخصائص التي تتصف بها تقوى البصيرة تكمن في سماع الذكر والخشوع له، والاعتراف بالتقصير والمبادرة الى العمل والاعتبار بالعبر وزجر النفس عن المعاصي والرجوع الى الله ومتابعة الاسوة في القول والعمل والسلوك ، وانفتاح القب على حقائق الغيب وتطهير الباطن وتزكية القلب وإصلاح النية والسريرة والتزود من دار الدنيا لدار الآخرة، وأن يعيش دائما حالة الخوف والرجاء.

ويؤكد الامام علي عليه السلام وفي نفس الخطبة الموسومة بالغراء على تقوى البصيرة التي تحمل خصائص أخرى تعالج الجانب العملي في حياة الانسان المؤمن ، ليقول "فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ ..... وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ "[58]

من الواضح أن التقوى بهذه الخصائص إنها إشتغال الانسان المؤمن بالتفكير في أمر الله وخشية الله على الدوام وإمتطاء اليل للتقرب من الله وإماتة الشهوات واعتياد اللسان على الذكر من شانها أن تجعل المؤمن ذي بصيرة تعصمه من الاغترار والخلط في الامورالتي عادة ماتلتبس على فاقدي البصيرة.

وعلى هذا الاساس يعلل الامام عليه السلام فقدان البصيرة الى الاغترار بالضلال والغي والتورط في الشبهات والتعويل على بعض الانتماءات على حساب العقيدة من قبل العرق والحسب والنسب ، في حين أصحاب البصائر قد حرروا أنفسهم من كل هذه الاوثان.

فقد بعث الامام علي عليه السلام الى معاوية بهذا الشأن ، جاء فيها" وَ أَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ وَ أَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَ تَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ؛.... إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ وَ هَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ" [59]

ونخلص مما تقدم أن التقوى تتفاوت بحسب الوظيفة والتكليف، فقد تفيد الاتيان بالطاعة وإجتناب والمعصية بشكل عام، غبر أنها لاتبدو كذلك في ظل ظهور الفتنة والشبهة ، حيث تتطلب مزيد من الفطنة والحكمة التي تشكل مفناح البصيرة بغية التغلب على تلك الفتنة.

الخاتمة:

تبين من خلال هذه الجولة البحثية أن البصيرة مفهوم من المفاهيم الاسلامية الضرورية التي يتطلبها الايمان بحسب ماجاء في النصوص القرآنية والروائية، وفي حالة غيابها يتعذر الحديث عن إيمان، وانها الثمرة المترتبة على التقوى والتفقه في الدين.

وقد توصل البحث الى بعض النتائج الي يمكن إجمال أبرزها في ما يلي:

1- تضافرت الآيات والروايات التي تحض المؤمنين على التحلي بالبصيرة ، وانها تقابل الغفلة وعمى القلب ، وغياب الرؤية

2- ان البصيرة بمثابة النور في الظلمة والفرقان الذي يميز بين الحق والباطل ، وإنها تحصن المؤمن من الوقوع في الشبهات، وتجعله يميز كل زيغ وإنحراف يمكن أن يطال الدين .

3- إن البصيرة درجات، وانها تتفاوت على ضوء مدى التمسك بالقرآن والعترة واشتشعار خشية الله ، ذلك أن الكتاب بصائر ، وان أهل البيت قمة البصيرة.

4- التقوى والتفقه في الدين هما السبيلان الامثلان لخلق وتعزيز البصيرة، فالتقوى تزهر القلب وتفيض عليه النور الذي يجعل القلب مطهرا من الظلمة مطلعا على عالم الحقيقة، والتفقه يجعل الانسان على دراية بالعقيدة والشريعة وحدود الحلال والحرام.

هوامش البحث

1- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون، مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر، ط1، 1979، ص85

2- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، 1983، ص67

الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣مالراغب

3- علي الخامنئي: التوحيد، مؤسسة تحقيقات ونشر الثقافة الاسلامية، طهران، ط4، 1999، ص54

4- عبدالواحد بن محمد التميمي الآمدي : غُرَرُ الحِكَم و دُرَرُ الكَلِم ، دار الكتاب الإسلامي بقم / إيران ، ط2 ، 1410 هـ

5- سورة الحج: الآية 46

6- محمد جواد مغنية: التفسيرالكاشف، دار الانوار، بيروت، ط4، 1970، ج3ص65

7- نهج البلاغة : الخطبة 216

8- سورة الاعراف: الآية 179

9- سورة الروم: الآية 7

10-عز الدين عبدالحميد بن هبة الله بن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة/ الخطبة 88، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2007، ج3س63

11-سورة يوسف: الآية 108

12-محمد حسين الطباطبائي : الميزان في تفسير القرآن، تحقيق: أياد باقر سلمان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2006، الميزان: ج11ص229

13-محمد عبده : نهج البلاغة / الخطبة 139، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 2014، ص175

14-محمد باقرالمجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط1، 1983، ج73، ص9

15-سورة الحجرات: الآية 40

16-نهج البلاغة: الرسالة278

17-نهج البلاغة: الخطبة 130

18-نهج البلاغة: الخطبة 122

19-محمد بن يعقوب الكليني: اصول الكافي، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الاسراء للطباعة والنشر، قم، ط5، 1984، ج2ص652

20- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1996، ص73

21-سورة الاحزاب: الآية 9

22-سورةالاحزاب : الآية 11

23-سورة الاحزاب: الآية 12

24- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ، سيرة ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط2، 1955، ج1ص43

25- محمد بن الحسن الحر العاملي: مسترك الوسائل ومستنبط المسائل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2008، ج2ص34

26-نهج البلاغة: الخطبة 158

27- سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الوسيط، دار الهادي، بيروت، ط1، 1989، ص87

28-نهج البلاغة: الخطبة 150

29-المصدر نفسه

30-سورة الحج : الآية 46

31-نهج البلاغة: الرسالة 278

32-سورة التوبة: الخطبة 122

33-ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، 2016، ج7ص92

34- مصباح الفقاهة، مكتبة الداوري، إيران - قم، ط1، 1989، ص22.

35- محمد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج78، ص321

36-علي الخامنئي: جهاد التبيين، مؤسسة تحقيقات ونشر الثقافة الاسلامية، طهران، ط1، 2019، ص54

37-محمد جواد مغنية: في ظلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2006، ج3ص12

38-علي الخامنئي:أضواء على نهج البلاغة، مؤسسة تحقيقات ونشر الثقافة الاسلامية، طهران، ط1، 2019، ص127

39- أبومحمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني : تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط2، 1404،ص410

40-نهج البلاغة: الحكمة 456

41-نهج البلاغة: الخطبة 18

42-نهج البلاغة: الخطبة 132

43-نهج البلاغة: الخطبة 42ا

44- سورة النساء: الآية 78

45-سورة الانفال: الآية 29

46- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001، ج2ص59

47-سورة الاعراف: الاية 201

48-سورة الاعراف: الآية 202

49-محمد حسين الطباطائي: تفسير الميزان، مصدر سابق، ج7ص67

50- سورة البقرة: الآية 232

51- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفي، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1964، ج4ص32

52-سورة الانفال : الآية 29

53- محمد مهدي الآصفي: مفاهيم إسلامية، دار الاسراء للطباعة والنشر، قم ، 1987، ص85

54- سورة الحديد: الأية 28

55- سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي: في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط17، 1412هـ، ج18ص43

56- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، دار العارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 2001، ج2ص32

57-نهج البلاغة: الخطبة 82

58-المصدر نفسه

59-نهج البلاغة: االرسالة 32

مصادر البحث

1- سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي: في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط17، 1412هـ

2- أبو القاسم الخوئي: مصباح الفقاهة، مكتبة الداوري، إيران – قم، ط1، 1989

3- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون، مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر، ط1، 1979

4- أبومحمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني : تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط2، 1404

5- سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الوسيط، دار الهادي، بيروت، ط1، 1989

6- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ، سيرة ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط2، 1955

7- عبدالواحد بن محمد التميمي الآمدي : غُرَرُ الحِكَم و دُرَرُ الكَلِم ، دار الكتاب الإسلامي ،قم ، ط2 ، 1410 هـ

8- عز الدين عبدالحميد بن هبة الله بن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة/ الخطبة 88، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2007.

9- علي الخامنئي:أضواء على نهج البلاغة، مؤسسة تحقيقات ونشر الثقافة الاسلامية، طهران، ط1، 2019.

10- ـــــ التوحيد، مؤسسة تحقيقات ونشر الثقافة الاسلامية، طهران، ط4، 1999.

11- ـــــ جهاد التبيين، مؤسسة تحقيقات ونشر الثقافة الاسلامية، طهران، ط1، 2019.

12-علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، 1983.

13- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفي، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1964

14- محمد باقرالمجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط1، 1983.

15-محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، دار العارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 2001.

16-محمد جواد مغنية: التفسيرالكاشف، دار الانوار، بيروت، ط4، 1970.

17-محمد بن الحسن الحر العاملي: مسترك الوسائل ومستنبط المسائل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2008.

18-محمد حسين الطباطبائي : الميزان في تفسير القرآن، تحقيق: أياد باقر سلمان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2006.

19--محمد عبده : نهج البلاغة / الخطبة 139، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 2014.

20--أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1996.

21- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.

22- محمد مهدي الآصفي: مفاهيم إسلامية، دار الاسراء للطباعة والنشر، قم ، 1987

23-- محمد بن يعقوب الكليني: اصول الكافي، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الاسراء للطباعة والنشر، قم، ط5، 1984.
24-ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، 2016.